ما من شيء فطر إلا لعلة ، وما من موجود إلا لغاية .

فلا يلبث بيانه أن يلبس شغاف الأفئدة ، فتتمايل الرؤوس من تمجيد وإكبار ، وتسترخي الجفون من توقير وإعظام .

وتابع الشيخ حديثه يلقي إلى الأسماع بالحكمة تلو الحكمة ، يتطاول تارة ويتقاصر طورا ، حتى اختتم درسه بين التهلل والارتياح .

وما عتم أن زايل المسجد في نفر من خاصته وأتباعه ، ينيب إلى داره ، تحف به سماحة وصفاء .

ودلف الجمع في ليات الطريق ، وهم يقلبون الأحاديث ، حتى وافوا دار الإمام . فوقف الشيخ على عتبة الباب ، ثم اعتدل يلقي على الجمع تحية الوداع .

وهم الشيخ أن يلج ، وما إن خطا الخطوة الأولى في سبيله ، حتى تهافتت عليه ذبابة اهتزلها وجهه ، فذبها بيمينه وهو يتأفف ، فتطايرت تستقبل الفضاء في رقصات مضطربة تثرثر بغنـــان موصول .

وشق السكون صوت متخشع يستوقف الشيخ على استحياء يسأل :

مولانا أطال الله بقاءه يرى ما نلقى من عنت الذباب ، يعكر